

مصطفى أمين يكتب: مَنْ قتل كامل الشناوي؟

كان الشاعر كامل الشناوى فى شبابه

يرتدى العمامة والحبّة والفطّان،

وكان طالبا فى الأزهر، يهرب من

حى سيدنا الحسين حيث المساجد

والمآذن والدروس الدينية، ويذهب إلى

شارع عماد الدين حيث المسارح ودور

السينما وصالة بديعة.

وكان منظر كامل عجبياً بعمامته

الكبيرة وجسمه الضخم وهو جالس

فى قهوة الفن بشارع عماد الدين

بين كبار الممثلين وكبار الممثلات وكبار

النقاد والصحفيين.

ولم يلبث كامل حتى خلع الحبّة

والفطّان وارتندى الجاكّة

واللينطلون، وترك الأزهر الشريف

والتحق بمدرسة الحقوق الفرنسية،

ثم هجر دروس القانون كما هجر

دروس الدين، وقرر أن يعيش شاعرا

فنانا يعيش فى بيوت الشعر وفى

دواوين الشعراء وكان ابرز صفاته

خفة دمه، يقول النكتة فتصبح على

كل لسان، كأنها أغنية من أغاني أم

كلثوم أو عبد الوهاب!

وفى

وقت قليل أصبح من ظرفاء مصر مثل حافظ إبراهيم ومحمد البابلي والشيخ عبد العزيز البشري وفكرى اباطة وسليمان نجيب.

وقد عرفته أول ما عرفته عندما كنت نائباً لرئيس تحرير مجلة روز اليوسف، وكان كامل يتردد على منزل السيدة روز بشارع الحواياتى بالقاهرة ويعمل ابنتها الطفلة آمال طليعات دروسا فى اللغة العربية .

وما يكاد ينتهى من الدرس عن المبدأ والخبر وصيغة منتهى الجموع حتى يدخل غرفة الصالون فيجد عددا من محرري روز اليوسف وأصدقائها ، وينقلب درس اللغة العربية إلى ضحك ومرح ودعابة ومقالب وسخرية.

كان يجيد تقليد أصوات الزعماء والوزراء والكتاب، وكم من مرة تكلم باسم شخصية معروفة فى التلفزيون، وهاجم شخصية أخرى فاعُضبه وآثاره، وقد صدق ان الشخصية المعروفة هى التى تتكلم، وهى التى خرجت عن حد الأدب، وتقوم خصومة بين الشخصيتين قد تصل إلى حد الهجوم على صفحات الصحف، إلى أن يكتشف الاثنان انهما كانا ضحية لقلب من مقالب كامل الشناوي.

وكان لا يكره فى الدنيا إلا ثقل الدم، فإذا دخل مكتبه رجل ثقیل ضاقت به الدنيا وشعر بالاختناق واستجد بعدد من الطرفاء من أصدقائه لينقذوه من الفرق فى الدم البارد والثقیل، وفوجئنا ذات يوم فى أثناء الحرب العالمية الأولى بأستاذ فى الجامعة يقتحم سهراتنا فى جريدة الأهرام، وكان الأستاذ حجة فى علمه، جم الأدب، ولكنه كان لسوء حظه ثقیل الدم لدرجة أنه إذا دخل إلى فرح حوله إلى ماتم، وإذا سمع نكتة حولها إلى نظرية علمية، فتموت الضحكات فوق الشفا، وحاول كامل أن يتخلص منه بكل الأساليب والوسائل، والرجل الثقیل يزداد إصرارا على أن يقاسمنا سهراتنا وينكد علينا الحياة وأخيرا رأى كامل الشناوى أن يرغم صاحبنا الثقیل أن يكون خفيف الدم، وأقنعه أن دكتوراة العلوم التى يحملها لا تساوى شيئا فى ذلك العصر، وخير له وأربع أن يكون دكتورا فى السحر والشعوذة ووعده بأن يكون كل محررى الأهرام مساعدين له وصيوانا فى عملية السحر والدجل، واتفق معه على أن يدعى أنه يستطيع إذا عرف تاريخ ميلاد رجل أن يعرف بعمليات طرح وضرب وجمع وقسمة اسم زوجته أو اسم صديقته أو إسم خليليته.

ويدخل الضحية إلى مكتبى ويسأله الدكتور عن تاريخ ميلاده ثم يغادر الدكتور الغرفة ونسأل الضحية عن اسم زوجته أو خليليته فيهمس بها فى أذنى، فأهمس بها فى اذن جاري، ويهمس بها إلى جاره حتى يصل اسمها إلى المحرر الذى يجلس عند باب الغرفة، فيفتح الباب فى هدوء ويخرج.. وبعد دقائق يفتح الدكتور الساجر الغرفة، ويوسك ورقا وقلما ويكتب أرقاما ويجمعها ويطرحها ويضرب بها ثم يقول له: اسم زوجتك فاطمة!

ويذهل الضحية ويعجب من كفاءة

الدكتور فى السحر وفى معرفة الغيب ..

وكان كامل الشناوى يجلس فى بار اللواء، وكان الجنود والضباط الانجليز يترددون على قهوة اللواء، وأشاع كامل بينهم أن هذا الدكتور ساحر عظيم فاقبلوا عليه يرجونه ويتوسلون إليه لى يذكر لهم أسماء خليلياتهم! ويأخذهم كامل إلى غرفته فى الأهرام ومعه الدكتور الساحر ويلعب اللعبة على الضباط والجنود.

وخف دم الدكتور المشعوذ كثيرا، وحُوّل

مجالسنا من كآبة إلى مرح، ومن جد إلى هزل، ومن مناقشات علمية جافة إلى الأعيب حواة وشعوذة! ثم ضاق كامل بشعوذة المشعوذ الذى صنعه، فأصبح يخبر الضحايا مقدما بحقيقة الدكتور المشعوذ، فيشتركون معه فى اللعبة، ويضحكون على الدكتور بدلا أن يضحك منهم!

وكان أصدقاء كامل المقربون ضحايا مقالبه، وقال له أنيس منصور يوما: «أنت يا كامل بك تزغزغ أصدقاءك بالسكاكين» بغضب كامل من هذه الحقيقة، وحاول أنيس أن يسترضيه فقال له: إننى أدايعك بأسلوبك وأتكلم بلغتك وأمزح على طريقتك! ولكن كامل كان يحب أن يحتكر المقابل ويحتكر السكاكين، وكان قادرا أن يطلق لقبيا على زعيم أو أديب فيلصق به اللقب الساحر طول حياته وكان كاتيب كسولا وصعفيا كسولا وشاعرا كسولا وعاشقا نشطا، إذا كتب حذف وشطب ومزق عشرات الأوراق قبل أن يكتب ثلاثة سطور. وإذا ذهب للقاء زعيم خطير تكلم كامل طوال اللقاء ولم يترك للزعيم فرصة ليقول لنا خيرا، كان بطرفه ولطفه وخفة دمه يحتل المجلس ويسيطر عليه، فيتحول المتكلمون إلى صامتين، والمشرثرون إلى صاعجين، وينتظر رئيس التحرير نتيجة المقابلة الخطيرة إلى ما بعد منتصف الليل ثم يكتشف أن رئيس الوزراء هو الذى سكت وأن كامل الشناوى هو الذى تكلم!

وكان شاعرا رقيقا لو جمعنا شعره كله لما ملأ كتابا واحدا بينما انه كان لديه من الخيال والموهبة والقدرة على الخلق ما يجعله

أشعر شعراء مصر.
وكان شجاعا فى أدبه متلافاً فى ماله، يكتب وكأنه بخيل يكتب كميالة، وينفق وكأنه مليونير له رصيد فى البنوك(والشئء الغريب أن كامل الشناوى كان مدينا لجميع البنوك فى مصر، ولم يترك مصرفا صغيرا أو كبيرا إلا وافترض منه وكتب له الصكوك والكميالات، حتى جاء يوم كانت الفوائد التى يدفعها للبنوك أكثر من مرتبه الشهري! وكنت تراه يقبض فى يناير مرتب شهر يوليو! لأنه سبق أن استدان مرتبات شهر



الشناوي ونجاة ومصطفى أمين



كامل الشناوي ونجاة.

كان كامل متقلبا يحب ثم يكره ثم يحب من جديد ، يصنع التمثال ويحطم الصنم، ثم يعود ليجمع الانقاض ليبنى ناطحة سحاب

أحب مرة نجمة سينمائية فاتنة، وكنت أدخل مكتبه فيقول لي: (القاهرة نائمة الآن فلا ترفعوا أصواتكم حتى لا تستيقظ)

كان كامل يحاول بأى طريقة أن يعود إلى نجاة، يمدحها ويشتمها، يركع أمامها ويدوسها بقدميه، يعبدها ويلعنها، وكانت تجد متعة أن تعيث به

عرفت عبد الحليم جيداً وجدت أن كاملاً كان صادقا فى وصفه محقا فى إعجابه به، وكذلك كان الأمر مع الموسيقار بلوغ حمدي.
وكان كامل متقلبا يجب ثم يكره ثم يحب من جديد، وكان التمثال ويعظم الصنم، ثم يعود ليجمع الانقاض ليبنى ناطحة سحاب، وكان مكتبه فى جريدة أخبار اليوم «الأم» التى تحتضن المحررين المبتدئين والفنانين الصغار والمواهب الناشئة، وكانت سعاده أن يرى هذه الزهور الصغيرة تكبر وتتحول إلى أشجار باسقة، ولم يكن يخشى أن يذفئوا.
صغيرا فيحتل مكانه.. وكم من صغار حملهم فوق رأسه فداسوه بأقدامهم، ونصرهم فخذلوه، وشهرهم وحاولوا أن يذفئوه.
وكان ذوقه فى الحب غريبا، كان دميما ولا يختار إلا ملكات الجمال، وكان ضخم الجثة ويصر أن تكون معبودته دقيقة صغيرة قصيرة تكوّن معه رقم ٥٠ فيكون هو الخمسة المستديرة وتكون فى الصفر الذى على اليمين.
وكان مخلصا أيمنا فى حبه ولا يقع إلا فى هوى الغائيات المتقلبات الخائتات الغادرات! وكانت الفتاة التى تقف وحدها لا تستهويه ولا تلفت نظره، وإنما الذى يجذبه هو الزحام، فهو يحب المرأة التى حولها زحام شديد، فيحاول أن يشق طريقه إليها، ويدفعه من أمامه، ويوقفه من بجواره، ويغذه من خلفه، إلى أن يصل إلى المرأة التى اختارها منهوكل القوى!

وكتب كامل يقول لها: «صديقتى إذا قلت لك، اننى لست مسكينا، ربما كنت كذلك لو اننى استسلمت للوهم الذى علننى بك، ولكننى قوامته ورفضت، وجعلت من كبريائى حسنا يمينى منك، ومن قلبي!
ولا شئ، بقوى أن يدمرنى لأننى أحيا، وما دمت أحيا، فإن العواصف التى تهب من حولى لا تزيدنى إلا قوة على مواجهة الأعاصير، إننى لست كئيبا من الرمل، تبده حفنة من الهواء، ولكننى جبل لا أبالى بالعاصفة! إنك احتقنى بها، وبدلا من أن تزمرجر فى الفضاء أجعلها تغنى من خلال صخوري!
وليس صחיحا انى أغار من أى إنسان تعرفينه، فالغيرة لا تكون إلا ممن تحبينهم، وقد عرفت بالتجربة أنك لم تحبى إلا ذاتا واحدة، لا أستطيع أن أغار منها لأنها مختبئة فى قيايل! إنك تحبين نفسك، وتغارين ممن يشاركونك حبها، بل إنك تاصيبنهم العداء، ومن أجل ذلك علمتلى كما لو كنت عدوك الطبيعى .. أحبيتك فكرهتتى، قدمت إليك قلبي، فطعننته بخنجر مسموم.»
ومضت المطربة تثير كامل الشناوى بأنها تمشق فلانا الطيب، وتحب علانا المحامي، وتخرج مع ترنان المهندس!

وكتب كامل يقول لها: (ليتك تعلمين أنك لا تهزنى بتصرفاتك الحمقاء، فلم يعد يربطنى بك إلا ماض لا تستطيع قوة أن تحبه إلينا أو تعيدنا إليه.. كنت أتعذب فى حبه كبريا، وقد ذهب الحب، وبقيت لى كبريايتى، كنت قاسية فى فتنتك، ونضارتك وجاذبيتك، فأصبحت قاسية فقط) .

نجاة: أنا رقيقة وهو ضخم، أنا صغيرة وهو عجوز، أنا أجد متعة فى أن أجلس مع الناس، ومتعته أن يجلس معى وحدي

بعد لا تكذبى كتب يخاطب الموت: أنا لا أخافك .. ولكنى لا أفهمك ؟ ما أنت ياموت.. وما الحياة؟

ولم تعطه شيئاُ! أحبها فخدعته، أخلص لها فخائته، جعلها ملكة فجعلته أضعوكة، وقد كتب قصيدة (لا تكذبى إنى رأيكما معا) فى غرفة مكتبى بشقتى فى الزمالك، وهى قصيدة حقيقية ليس فيها مبالغة أو خيال حتى إن الموسيقار عبدالوهاب سماها «إنى ضبطكما معا»! وكان كامل ينظمها وهو يبيكي، كانت دموعه تختلط بالكلمات فتطمسها، وكان يتأوه كرجل ينزف منه الدم الغزير وهو ينظم، وبعد أن انتهى من نظمها قال إنه يريد أن يقرأ القصيدة على المطربة بالتليفون.

وكان تليفونى بسماعتين، امسك هو سماعة وامسكت أنا وأحمد رجب سماعة فى غرفة أخرى، وتصورنا أن المطربة ما تكاد تسمع القصيدة حتى تشيق وتبكي وتنحب ويغمى عليها وتستغفر وتعلن توبتها.. وكان فى رأى أحمد رجب ورأىي أن هذا منظر تاريخى يجب أن نحضره.

وبدا كامل يلقي القصيدة بصوت منتحب خافت، تتخلله الزفرات والعبرات والتهدات والأهات مما كان يقطع القلوب، وكان المطربة صامتة لا تقول شيئاُ ولا تعلق ولا ت قاطع ولا تعترض، وبعد أن انتهى كامل من إلقاء القصيدة قالت المطربة: – كويسة قوى .. تنفع أغنيها .. لازم أغنيها!

وانتهت المحادثة التاريخية ورأينا كامل الشناوى أماننا جثة بلا حراك!
وكتب إليها يلعنها ويقول: (لم يعد بيننا ما يغرى بان أأدعك أو تخدعيني، فقد خرجت من حياة نفسى! لا تدهشى.. فالحياة التى أحياها اليوم لا يربطنى بها إلا ما يربط الناس بحياتهم من أمل و يأس، وأ راحة وعذاب.. إنها حياة لا أتحرك فيها، ولكن أتمدد كجثة .. وهى لا تضمنى بين أحضانها ولكن تلفنى كالكفن! فى استطاعتى الآن فقط أن أصارحك بحقيقة قصتى مكعب، لقد خدعتى وخدمتك، خدعتنى بكذب الذكى، وخدمتك بصدقى الغيبي.. ظلمت سنوات أتوهم أنك تحبيننى، فجريت وراءك بقلبي الأبله ومشاعرى الحمقاء.. وخلال تلك السنين كنت أنتزع من نفسى خليجاتها وأقدمها لك فى أهة، دمة، كلمة، قصيدة .. وقد دفعت إيمانك بصدق عاطفتى إلى أن تمارسى حقوق حواء بقدرته وجدارة.. ففدرت بوفائى وضعتك من دموعي».

وسمع كامل الشناوى أن حبيبته المطربة الكبيرة عندما علمت بعدايبه قالت لأصدقائها:– مسكين كامل الشناوى .. لقد دمرته الفكرة.

وكتب كامل يقول لها: «صديقتى إذا قلت لك، اننى لست مسكينا، ربما كنت كذلك لو اننى استسلمت للوهم الذى علننى بك، ولكننى قوامته ورفضت، وجعلت من كبريائى حسنا يمينى منك، ومن قلبي!
ولا شئ، بقوى أن يدمرنى لأننى أحيا، وما دمت أحيا، فإن العواصف التى تهب من حولى لا تزيدنى إلا قوة على مواجهة الأعاصير، إننى لست كئيبا من الرمل، تبده حفنة من الهواء، ولكننى جبل لا أبالى بالعاصفة! إنك احتقنى بها، وبدلا من أن تزمرجر فى الفضاء أجعلها تغنى من خلال صخوري!
وليس صחיجا انى أغار من أى إنسان تعرفينه، فالغيرة لا تكون إلا ممن تحبينهم، وقد عرفت بالتجربة أنك لم تحبى إلا ذاتا واحدة، لا أستطيع أن أغار منها لأنها مختبئة فى قيايل! إنك تحبين نفسك، وتغارين ممن يشاركونك حبها، بل إنك تاصيبنهم العداء، ومن أجل ذلك علمتلى كما لو كنت عدوك الطبيعى .. أحبيتك فكرهتتى، قدمت إليك قلبي، فطعننته بخنجر مسموم.»

ومضت المطربة تثير كامل الشناوى بأنها تمشق فلانا الطيب، وتحب علانا المحامي، وتخرج مع ترنان المهندس!
وكتب كامل يقول لها: (ليتك تعلمين أنك لا تهزنى بتصرفاتك الحمقاء، فلم يعد يربطنى بك إلا ماض لا تستطيع قوة أن تحبه إلينا أو تعيدنا إليه.. كنت أتعذب فى حبه كبريا، وقد ذهب الحب، وبقيت لى كبريايتى، كنت قاسية فى فتنتك، ونضارتك وجاذبيتك، فأصبحت قاسية فقط) .

وكان كامل يحاول بأى طريقة أن يعود إليها، يمدحها ويشتمها، يركع أمامها ويدوسها بقدميه، يعبدها ويلعنها، وكانت تجد متعة أن تعيث به، يوما يتشمس ويوما تعبس، ساعة تقبل عليه وساعة تهرب منه، تطلبه فى التليفون فى الصباح ثم تترك نفسها منه فى المساء، وكان يقول إنه لا يفهمها، وهى امرأة غامضة لا أعرف هل هى تحبنى أم تكرهنى، هل تريد أن تحبينى أم تقتلتى؟

وكتب عنها يقول: «أنا لا أفزع إلا من شيئين، آلام مرض لا أعرفه، وغموض امرأة أعرفها.. وقد أحتمل آلام المرض، بأمل أو يأس، أما غموض المرأة فلا يجدى معها أملى فيها أو يأسى منها.. إن غموض الرجل يثير فيه رغبة أصدقائه فيبتعدون عنه.

والمرأة الغامضة تثير الرغبة فيمن يحبها، إن كل خلجاته، ونبضاته تظل تسأل فى حيرة عن سر هذا الغموض، إذا أبدت الرضى ظن أنها تخدعه، وإذا غضبت منه اعتقد أنها تكرهه.. وإذا كانت وحدها سعى إليها فيحس وحده أنه فضولى متطفل، ضيف غير مدعو!

وإذا أقبلت عليه فكر فيما ينطوى عليه إقبالها من نيات وحدها سعى إليها فيحس الفاشل تطارده وتعذبه، وكان يعتقد ان الهجر قتله وأنه لم يبق إلا موعد تشييع الجنازة! وكان يجلس يكتب كل يوم عن عذابه وكان يخيل إلى أنه كان يكتب كل يوم نعيه.

وفوجئت به يتردد على المقابر، ولم تكن هذه عادته، وسألته ماذا حدث فأبشتم ابتسامة حزينة وقال: أريد أن أعود على الجو الذى سابقت فيه إلى الأبد.

وقد كتب يصف رحلته إلى المقبرة يقول: «ما أعجب هذه الصحراء، كل شئء فيها يشبه الآخر، الناس متشابهون فى حركاتهم والانقباض البادى فى مسحات وجوههم، القبور متشابهة، كلها أحجار وطوب وزهور، وماء بيل الثرى، كلها يضم عظاما نخرة.. هنا، تحت المقابر تساوت الأعمار والقيم، الشاب والشيخ، والدكى والغني، من كان له مثل أعلى فى الحياة، ومن غادر الحياة ولم يكن له فيها مثل أو هدف! ووصلت إلى المقبرة التى تعودت أن أزورها فى أكثر من مناسبة، ففهيا يرقد أحبابى الذين تركوا حياتى وذهبوا إلى حيث سذهب مثلهم .. حاولت أن أبكيهم فتعثرت الدموع فى معاجري.. حاولت أن أرتيهم فلم تنطق منى إلا كلمات خرساء .، ووقفت فى خشوع، ثم جنوت فوق التراب الذى ضمه بالأسس وسيضمنى غدا، وحيث رأسى اجلالا للموت الذى احتواهم بين ذراعيه.. بهائين الذراعين سيحتوينى يوما! أيها الموت: أنا لا أخافك .. ولكنى لا أفهمك .. فمن تكون؟ هل أنت تترف دماينا وأعمارنا لتروى ظلماك؟ أم لتروى ظلماً الحياة ما أنت ياموت.. وما الحياة؟

يا أسفى على أنى أعيش حياتى ولا أعرفها، والقى الموت دون أن أعرفه! أيها الصحراء، يامدينة القبور والموتى! إذا جئت إليك محمولا فى نعش فاستقبلينى بروحك الوديع التى شعرت بها اليوم، عندما جئتك محمولا فى سيارة.

× × ×

ومات كامل الشناوي.. ومضت السنوات وقابلت المطربة التى كان يعيشها وقتل لها: إننى كرهتها طول حياتى منذ قصيدة «لا تكذبى إنى رأيكما معا»!

قلت: إننى لم أحبه، هو الذى كان يحبنى.. إننى كنت أحبه صديق فقط وطلب منى أن يتزوجنى فرفضت لأننا نختلف فى كل شئء أنا رقيقة وهو ضخم، أنا صغيرة وهو عجوز، أنا أجد متعة فى أن أجلس مع الناس، وعته أن يجلس معى وحدي، أنا لا أريد أن يعرف الناس من أحب، وهو يريد أن تعرف الدنيا كلها أنه يحبني!

قلت لها: إن أصدقاءه يعتقدون أنك قتلتيه! قالت: لا .. أنه هو الذى انتحرا!

سألتها : تقصدين أنه انتحر حيا؟ قالت:

بل انتحر غيرة

ولم أصدقها طبعاً ..

مابعد المقال

على الفور اتصلت نجاة بمحاميه الخاص فتحى جيب، تخبره بعصية شديدة استباها»ها وتطلبه برفع دعوى قضائية ضد مصطفى أمين، وأخذت تقراً له ما كتبه عنها بغضب شديد، مؤكدة أنها لن تتراجع حتى تعاقبه بالحبس وغرامة كبيرة على ما كتبه فى حها وتشويه صورتها والربط بينها وبين موت كامل الشناوي.

على الفور قرر المحامى اتخاذ الإجراءات الرسمية برفع دعوى قضائية ضد مصطفى أمين، بطالب فيها بتطبيق قانون العقوبات ويتهمه بسب وقذف «نجاة»، بما يستحق عقابه بالحبس ٢ سنوات وغرامة تصل إلى نصف مليون جنيه.

نجا مرور الوقت وتدخل البعض، دفع ذلك لجهة للموافقة على التنازل شرط أن يعتذر لها مصطفى أمين، والذى أصر بدوره على عدم الاعتذار وأنه لم يفعل شيئاُ وتمسك بالحبس وغرامة كبيرة على ما كتبه فى حها وتشويه صورتها والربط بينها وبين موت كامل الشناوي

والموسيقار محمد عبدالوهاب فى الصلح بين الطرفين وإفراح نجاة بالصلح.

محاولات الصلح فشلت والقضية استمرت

حيث شهدت أروقة محكمة جنح آداب قصر

النيل تقاضيل القضية، لكن بعد فترة انتقد

الجلد يحكم محكمة «رفض الدعوى والإزام

نجاة بالمصاريف وبراءة مصطفى أمين».